

فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا

عقاب الله تعالى للظالمين

(006) سورة الأنعام

اللقاء السادس من تفسير سورة الأنعام | شرح الآيات 45- 52

2023-01-07

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم علّمنا ما نافعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً مُتقبلاً يا رب العالمين وبعد:
مع اللقاء السادس من لقاءات سورة الأنعام ومع الآية الخامسة والأربعين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)

(سورة الأنعام)

سبق هذه الآية ما أنهينا به لقائنا السابق:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)

(سورة الأنعام)

ما هو الإكرام الاستدراجي؟

وقلنا إنّ هذه سُنةٌ من سنن الله تعالى في عباده وهي ما تُسمّى الإكرام الاستدراجي وقد بيّنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:

{ إذا رأيت الله يُعطي العبدَ مِنَ الدُّنيا على معاصيه ما يُحبُّ، فإنّما هو استدراجٌ، ثمّ تلا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قَلَمًا
سُورًا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام: 44] {
(أخرجه أحمد والطبراني والبيهقي)



الوضع الطبيعي أن تشكر الله على نعمه

فالعبد عندما يكون مُطيعاً وتأتيه النعم ويشكر الله تعالى عليها فهذا هو الوضع الطبيعي، الصحيح، الصحي، لكن إذا كان عاصياً مُستمراً للمعاصي، مُبالغاً فيها، تاركاً للفرائض، ورأى نعم الله تنهمر عليه، فيجب أن يتيقظ بأنّ هذه النعم استدراج إلى نهايةٍ مأساوية، وهي (أَخَذْنَا هُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) أي مُتخبرون لا يدرون ما الذي حصل، فإذا فهم على الله تعالى حكمته في هذا الإكرام فرجع إلى الله، وشيكر نعمه، وعاد إلى الطاعة، وأقلع عن المعصية، نجا من النتيجة الحتمية، لكن لو أنه بقي على ما هو عليه فهذا استدراج من الله له، نهايته الآبة التي تليها (فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

لذلك اليوم إذا رأيت أقواماً يعصوا الله تعالى ويُجاهروا بفسقهم، بل يُجاهروا بمخالفتهم ليطهرهم النبي قطرهم الله عليها، يعني لا يُخالفوا الشرائع فقط بل يُخالفوا الفطر، ويعينوا في الأرض فساداً ويظلمون الناس، فاعلم أنهم يمرون بهذه السُّنة ونهايتها (فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا)، أنت تمنى أن ترى هذه النهاية للظالمين، لكن هذا لم ينجح لأشرف الخلق صلى الله عليه وسلم وهو رسوله وهو نبيه، فلأن لا يُتاح لنا من باب أولى، لذلك خاطبه ربه فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّمَا نُرِيكَ بَعْضَ الَّذِي تَعِدُّهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ قَالَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ سَهْبٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46)

(سورة يونس)

نهاية الظالمين حتمية مهما طالت دورة الحق والباطل:



أجمل ما في الحياة هو القرب من الله

فالنهاية حتمية لكن هل يدركها عُمْرُك أم لا يدركها هذا شيء آخر، لأنَّ العمر قصير أقصر من دورة الحق والباطل، قد تطول دورة الحق والباطل عندما ينام أهل الحق عن حقهم، ويتمادى أهل الباطل في باطلهم، لكن النهاية حتمية **(فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** الدابر هو دُبُرُ الشيء هو آخره، فقطع دابرهم يعني أي لم يبقى لهم وجود أصلاً، وقال الذين ظلموا دون أن يقول ظلموا أنفسهم، أو ظلموا غيرهم ليبقى على إطلاقه، قَسِمَتَهُمُ الْعَامَةُ أَنَّهُمْ ظَلَمُوا، ظلموا أنفسهم لأنهم حرموها من الجنة، ظلموا أنفسهم لأنهم حرموها من أجمل ما في الحياة وهو القرب من الله، ثم انتقلوا إلى ظلم غيرهم لأنَّ الإنسان إذا غفل عن ربه أساء إلى خلقه يعني هذه معادلة، قد تجد إنساناً غافلاً عن ربه لا يُسِيءُ إِلَى خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ دَوَافِعُ أُخْرَى، عند الأزمات بتغير الحال، عند الأزمات كثيراً ما يتغير الحال لكن المؤمن ينطلق من إيمانه في أنه لا يظلم الناس لأنَّه سيقف بين يدي الله، **(فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا)**، ظلموا أنفسهم، وظلموا دين ربهم، وظلموا الآخرين، ظلم عام، والظلم في أدق تعريفاته: أن يضع الإنسان الشيء في غير موضعه لذلك كان الشرك أعظم الظلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)

(سورة لقمان)

لأنه وضع عبادته في غير المكان الصحيح، عبد آلهة من دون الله، وأنت إذا كنت في شركة وأنت حائز على شهادة جامعية، وقيل لك لا بُدَّ من أن تعمل مُستخدماً في هذه الشركة فتشعر بالظلم الشديد لأنك وضعت في غير موضعك، فوضع الشيء في غير موضعه ظلم، فهؤلاء ظلموا، خلقهم الله تعالى لجنَّة فاستجفوا النار، خلقهم الله تعالى ليتعارفوا فتعاركوا، خلقهم الله تعالى ليُحَسِّنُوا فَأَسَاءُوا فوضعوا الشيء في غير موضعه، فقال **(فَقَطِّعْ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**، الحمد لله هنا على أنه قطع دابر الظالمين، لأنه أقام العدل جلَّ جلاله وهو العدل، لأنه أراح البشرية منهم، ومن ظلمهم، ومن أفعالهم الشَّريَّة، والحمد لله رب العالمين.

أصل العدل الإلهي يوم القيامة لا في الدنيا:

وهذا الختام في الآبة هو مطلع سورة الفاتحة التي نقرأها في كل صلاة الحمد لله رب العالمين، وهذه (ال) هي (ال) الاستغراق يعني كل الحمد لله، والربُّ هو المُدِّ الذي يمدك بما تحتاجه، ومن تربيته لعباده أنه يُعَاقِبُ الْمُسِيءَ وَيُكَافِئُ الْمُحْسِنَ، من تربيته لعباده فهو الربُّ، ربُّ الأسرة إذا كان الابن يأتي بعلامات رائعة ثم لا يقول له أحسنت، والآخر يتلفظ بألفاظ بذينة ثم لا يقول له أسأت وأخذ على يده فهو ليس رباً، لأنه ليس مربياً لكن الله تعالى ربُّ ربِّنا، فإذا قمت الليل مثلاً شعرت براحة في قلبك تربية، وإذا منعت زكاة مالك فجاءتك مصيبة دفعت من خلالها أكثر مما كان ينبغي أن تدفعه زكاة فهو ربُّك، ربُّي عباده، من تربيته لعباده أنه في نهاية المطاف يقطع دابر الظالمين ويُعلي من شأن عباده المؤمنين، وهذا كله دفعات على الحساب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْجِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)

(سورة آل عمران)

فأعظم مظاهر الربوبية في الحساب ستظهر يوم القيامة، لأنَّ هناك من سُبِّحَ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَعَبَانِي وَهَنَكَ مِنْ سَبْعِيهِ وَيَعْلُو شَأْنُهُ إِلَى حِينٍ، فأصل العدل الإلهي يوم القيامة لا في الدنيا.

قلب الإنسان هو الذي يعقل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)

(سورة الأنعام)



مخاطبة الله عز وجل لنبيه الكريم

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) ، الآن الله تعالى يُخاطب نبيه يقول له: قُلْ لهم يا محمد لو كان القرآن فيه تحريف أو يمكن أن يطرأ عليه تحريف، لما قال صلى الله عليه وسلم قل يُخاطب نفسه بها! لقال فوراً أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ، ففي القرآن الكريم عندما نقرأ قُلْ، هذه من إحدى الإشارات اللطيفة على أنه كلام الله تعالى بِلُغَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وصله، أنا لو قلت لك قُلْ لجانك أن يزورني غداً الساعة الخامسة، عندما تذهب إلى جارك ماذا تقول له؟ تقول له المعنى تقول له: زُرْ فلاناً غداً الساعة الخامسة، ولا تذهب وتقول له قُلْ لجانك زُرْ لا تُكثِر اللغظ، لكن هذا كلام الله تعالى، فلما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بلغه كما أنزل، قال له الله تعالى قُلْ فهذه جزء من القرآن، قُلْ أَرَأَيْتُمْ بَلِغَهُ كَمَا هُوَ (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ).

الآن يعود المولى جلّ جلاله للحوار يُعلّمنا جلّ جلاله كيف نُحاور الناس، من أساليب الحوار أنّ هؤلاء يعتزّون بآلهتهم التي يعبدونها من دون الله، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أَرَأَيْتُمْ يعني كيف حالكم مع هذا الأمر كيف أتتم مع هذا الأمر (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ) سلّبتكم السمع فما عُذّتكم تسمعوا، أصحتم صمّاً، سلّبتكم البصر فما عُذّتكم تنظروا وتبصروا، وختم على قلوبكم وأحكم العشاوة على قلوبكم بحيث أصبح القلب لا يستوعب شيئاً لا يفهم، الإنسان عنده مُدخلات، وعنده معالجة، المُدخلات سمع وبصر، هناك مُدخلات أخرى عن طريق اللسان، الذوق، الشم، اللمس، هناك مُدخلات أخرى، لكن مدخلان حسية بحته، أما مُدخلات الوعي والإدراك تكون عن طريق السمع والبصر، أنتم الآن تمارسوا عملية إدخال معلومات عن طريق السمع، وإذا كنت في مكان مُعيّن فشاهدت شيئاً وحفظت الصورة فقد أدخلت معلومةً عن طريق البصر، المُخرجات عن طريق الأفعال والقيم، المُعالجة في القلب الذي يعقل، القلب يعقل، إما أنه قلب الإنسان يعني شيء في داخله يُعطيه هذه الصلّكة على المُحاكمة، أو هو ذلك القلب الذي يصح الدم إلى الجسم، وفق أحدث ما توصل إليه العلم بأنه يعقل فعلاً، ولديه ذواكر والله أعلم، لكن هو قلب الإنسان هو الذي يعقل، يعقل المعلومة، فإلّمُدخلات سمع وبصر، المُعالجة في القلب، فلما أخذ الله سمعهم، وأخذ أبصارهم، وعطل عندهم ملكة المُعالجة، العمليات التي تجري في العقل، الآن يقولوا لهم: (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) يعني مَنْ معبود بحق، عندهم آلهة لكنها تُعبد باطل لا بحق لأنها لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ولا حياةً ولا نشوراً، الإله هو المعبود بحق (مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ) يُرْجِع لك سمعك، وبصرك، وقلبك إلى الحياة والنبض، وإلى المُعالجة، والمُحاكمة، والتذكّر، والتفكير لا أحد، إذا ينبغي أن تعبد الإله الذي يملك سمعك وبصرك وقلبك.

الله يُصَرِّفُ الْآيَاتِ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الْمُمْكِنَةِ:

(انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) أي تُبَيِّن الْآيَاتِ، انظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف نُصَرِّفُ الْآيَاتِ أي نبيّها بكل الوسائل الممكنة تارةً بالِمباشرة يقول لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)

(سورة الإخلاص)

مباشرة، وتارةً من خلال المُحاكمة كهذه الآية، الذي خلقك، الذي رزقك، الذي أعطاك، وتارةً من خلال القصة التي فيها العبر والدروس، كيف يُحيي الله الأرض بعد موتها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَرَّبْنَا لَنَا مَثَلًا وَتَسْبِيحًا خَلَقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)

(سورة يس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوسِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا قَامَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ لَ قَالَ لَبِئْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِئْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى جَمَارِكَ وَلِتَّجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُسِخَتْهَا ثُمَّ تَكْسُوهُمَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)

(سورة البقرة)

تارةً بالفصص، تارةً بالمباشرة، تارةً بالآيات الكويّبة، (انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ) ما ترك وسيلةً حتى يُبين لك من خلالها آياته في الكون، وفي القرآن وفي أفعاله، كل آية تدل على وجوده، قال (ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ)، صدق أي انصرف، ينصرفوا و يُعرضوا، (ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ) ينصرفوا عنها، الآيات أمامهم وهم عنها مُعرضون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ (47)

(سورة الأنعام)

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ) هنا فيها زيادة، هناك قل أرايتم، هنا أرايتكم يعني أخبروني كيف حالكم؟ أعطاهم كاف الخطاب، لأنّ هنا الموضوع الذي سيأتي فيه مزيد في المعنى قَرَبَ في المبنى، الزيادة في المبنى زيادة في المعنى.

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ) هذا تصريف الآيات، في الآية الأولى حَدَّثَهُمْ عن النعم التي أسعها الله عليهم، سمع وبصر وقلب، ولا إله إلا الله يأتي بها إذا أخذها، الآن النوع الثاني الذي جاء فيه مُبالغة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً)، بعته فجأة، من غير مُقدمات، يعني تفاجئ به، جهرة يعني واضح للعيان بين واضح، (هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ)، يعني من يهلكهم الله تعالى بعباده هم قوم ظلموا أنفسهم، وظلموا الآخرين، كما قلنا سابقاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ قَمَنْ أَمَنْ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (48)

(سورة الأنعام)

هنا يحصر جلاً جلاله مهمة الرسالة في شئين، البشارة والإنذار، وما نرسل هذا حصر، (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) هنا المعنى أن البشير والندير لا يملك لك من أمرك شيئاً، يعني هو لا يستطيع أن يهديك، ماذا نفعل بقوله تعالى يُخاطب نبيّه؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (52)

(سورة الشورى)

مهمة الرسول التبشير والإنذار:

هنا الهداية بمعنى الدلالة (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي) يعني تدل على الصراط المستقيم، لكنك لا تهدي من أحببت توفيقاً، أنت تملك أن تقول له الطريق من هنا، لكنك لا تملك أن تضعه فيه رُغمًا عنه، فذلك (إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) إذا الرسول لا يملك أن يُجبرك على الطاعة لكن يُبشرك ويُنذرك، المعنى الثاني لا تطلبوا منه شيئاً لا يستطيعه لأنه مُبشِّرٌ ومُنذِرٌ، ليس ملكاً، ليس رجلاً معه خوارق، هذه ليست مهمتكم إن أجرى الله تعالى على يديه بعض الخوارق فهذا شأن الإله، أما أن تقولوا له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْعُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90)

(سورة الإسراء)

أو تقولوا له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُرْحٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ □ فُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
رَّسُولًا (93)

(سورة الإسراء)



البشارة أن تُبَيِّنَ للناس شيئاً حسناً سيأتيهم هذا ليس من شأنكم، هو مُبَشِّرٌ ومُنذِرٌ، هذا ليس شأنه وليس شأنكم فهذا معنى (وَمَا نُزِيلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) البشارة أن تُبَيِّنَ للناس شيئاً حسناً سيأتيهم قبل إتيانه، يعني أنا أقول لك أبشرك بأن مشكلتك ستحل بعد غدٍ، هي لم تحل بعد لكن بشرك قبل حلولها، وأذكرك أن تُسافر هذا السفر لأن فيه مخاطرة، فالبشارة شيء مُفرح سيأتيك، والإنذار لشيء مُرعب سيأتيك، فبشرك وبشرك، والأنبياء جاؤوا للتبشير والإنذار، يبشروننا بجنن إن أعطنا الله، وبندروننا ناراً إن عصيناها.

(فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) إذا شأن الرسل التبشير والإنذار، ما شأنك أنت؟ اتخاذ موقف من هذه البشارة والإنذار، هم شأنهم أن يُبشروا ويُندروا لا أن ياتوك بالمُعجزات، ولا أن يضعوك على الطريق، لكن أنت الآن ماذا تقابل مهمة الرسل؟ تقابلها إما بالإيمان والإصلاح أو العياد بالله بالتكذيب والإعراض، (فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) آمن بقلبه وأصلح بجوارحه، آمن بقلبه أنا أفضل دائماً مُصطلح القلب على العقل، أخبرتك بذلك سابقاً، آمن بقلبه لأن العقل في القلب، فالإيمان في القلب، (وَأَصْلَحَ) أي عمل صالحاً بجوارحه، اكتمل عمله آمن وأصلح، عمله صالح وقلبه مؤمن، قال: (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) لا خوف عليهم مما هو آتٍ، لأن الإنسان ماذا ينتظر من الكريم إلا الكرم، ماذا ينتظر من لقاء الله إلا الإكرام؟ إذا الإنسان درس سنوات طويلة وتعب بها، درس في بلد أجنبي، تعب في دراسته، وكان ليؤمّن مصروفه يحتاج أن يعمل ليلاً وأن يدرس نهائياً فأصبح لا ينام في اليوم كله إلا ساعات قليلة، ويمضي ليله في العمل في المطاعم وغسيل الأواني، ونهاره في الجامعة، وما بعد الظهر في الدراسة، وربما ينام ساعتين في اليوم، فيتعب هذه هي الحياة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)

(سورة الانشقاق)

ثم انتهت هذه السنوات العجاف، عشر سنوات دراسة وتحصن وإلى آخره ثم وضع قدمه على سُلّم الطائرة عائداً إلى بلده ينتظره منصبٌ مرموق، وقد حُجز له بيت في حي راقٍ وسيارة وعبادة خاصة وما إلى هنالك، هذا عندما انتهى ووضع قدمه على سُلّم الطائرة عائداً إلى بلده فهذه أعظم لحظات فرجه لأن الأسي قد انتهى، والعبء قد بدء، هذا حال المؤمن لثا يفرغ من الدنيا ويُقبل على ربه، فأئٍ خوفٍ ينتظره؟! أما البعيد عن الله في قلبه خوف لأن الموت بالنسبة له نهاية غير متوقعة، وغير واضحة المعالم، ماذا يحصل بعد الموت؟ ما الذي سيُصيّبي؟ المؤمن مرتاح لأنه أطاع الله في دُنياه فهو وافرٌ على الكريم جلّ جلاله (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)

وفي آية ثانية تنزل عليهم الملائكة عند الموت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (30)

(سورة فصلت)

الإنسان منذ ولد استدير الدنيا واستقبل الآخرة:



الإنسان لا يحزن على ما فاته من الدنيا

انتهى الخوف، الخوف في الدنيا، فهؤلاء الذين آمنوا وأصلحوا لا خوفٌ عليهم، لا شيء ينتظرهم ولا هم يحزنون على ما مضى، يعني لا يتأسف على صفةٍ فاتته، لأنه يستقبل، الإنسان عندما يُدير عن شيءٍ ويستقبل شيئاً آخر يجب أن تكون عيونه على المكان الذي يستقبله، أما إذا يفكر فيما أدير عنه فهذا لن يصل إلى هدفه، فالإنسان منذ ولد استدير الدنيا واستقبل الآخرة، فلا يحزن على ما فاته منها لأنه مقبل على هدفه، قال والذين كذبوا، كذبوا بالقرآن الكريم، كذبوا بالآيات الكونية الدالة على عظمة الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (49)

(سورة الأنعام)

الباء باء السبب، يعني بسبب فسقهم بمسهم العذاب، القرآن كثيراً ما يُعبّر عن العذاب بالمسّ، المسّ هنا للعذاب لأنّ العذاب من العظيم جلّ جلاله، فيكفي فيه المسّ، الإنسان في الدنيا كل ما كان منصبه أعلى، أو قوّته الجسميّة أعلى، أو قوّته المادية أعلى، يصبح أي شيء منه مهما كان بسيراً عظيماً، لكن الضعيف يحاول جهده في أن يُبالغ في عذاب الآخرين إذا أراد أن ينتقم، لأنه مهما استفرغ من وسعه لن يصل إلى ما يريد، الله جلّ جلاله، المسّ منه من العذاب هو هذه الحالة التي يعيشها هؤلاء المجرمون، فيعبّر بالمسّ لقوته وعظمته جلّ جلاله قال: (يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) الفسق في الأصل، الرطب التمر قبل فسوته يكون رطب طري، هذه الرطب أحياناً تكون صغيرة، الغلاف الذي عليها القشرة يعني مُحكمة عليها وملتصقة بها تماماً، عندما تنضج الرطب أكثر الغلاف الذي عليها يفشق، أي ينفصل، تنفصل القشرة عن لبّ التمرة هذا فسق، تنفسق الرطبة بمعنى أن غلافها الخارجي انفصل عنها، خرج عن حدوده، لأنه هي كبرت، فالفسق هو الخروج عن منهج الله تعالى، الله تعالى وضع للإنسان منهج يسير عليه فإذا خرج عنه فقد فسق، (يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) طبعاً المؤمن لا يسمى فاسقاً بمعنى الفسق، ولو خرج عن المنهج لأنه يسير على الطريق لكن تغلبه نفسه، أو شهوته أو شيطانه أو جهل شيئاً أو ينسى شيئاً، فيخرج من دون عزم فيستغفر ويعود، فهذا يبقى على الطريق، أما الفاسق خرج عن المنهج، ابتعد كثيراً، يعني لم يعد بينه وبين المنهج أي صلة، هذا الفسق، وليس كل من خرج عن المنهج يُسمّى فاسقاً بسبب فعله، مثلاً تارك الصلاة بشكل كامل هذا فاسق، أما من فاتته صلاة الفجر لأنه جالس مع رفاقه هذا خطأ طبعاً وتسيّ أن يُصلي الظهر أخذه الكلام هذا لا يُسمّى فاسقاً، يُسمّى ناسياً، الفسق هو الخروج عن المنهج بشكل كامل، فقال (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)، أي بسبب فسقهم، فُلم يُخاطب نبيّه صلى الله عليه وسلم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الْغَايِبِينَ
أَقْلًا تَتَذَكَّرُونَ (50)

(سورة الأنعام)



الله تعالى عنده خزائن كل شيء

هذا تغيير لمهمة الرسول وهي البشارة والإنذار، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يملك الخزائن، والخزائن جمع خزانة وهو المكان الذي تضع فيه شيئاً ثميناً تحفظ به إلى حين، ومنه الخزانة أي خزنة المال، وحتى الخزانة هي بالأصل الخزانة لوضع الأشياء الثمينة، تخزنها إلى حين، تحتاجها بعد أشهر فتضعها في الخزانة، والله تعالى عنده خزائن كل شيء، إما الأنبياء والرسل وعوام الناس لا يملكون خزائن الله تعالى، المطر من خزائن الله، الرزق من خزائن الله، الصحة من خزائن الله، كلها من خزائن الله جلّ جلاله، فقال (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) يعني لا أملك لكم ما عند الله تعالى، حتى الثواب والعقاب من خزائن الله، ولا أعلم الغيب، أي إنسان يدعي أنه يعلم الغيب فقل له رسول الله لا يعلم الغيب، فمن باب أولى أنك أنت لا تعلم الغيب، لا يعلم الغيب إلا الله، على رأس السنة هناك المنجّمون، وقالوا كذب المنجّمون ولو صدقوا، وسمعت أنّ أصل هذه العبارة هو كذب المنجّمون ولو صدقوا، ثم لما قُطعت الأحرف وضوعها ولو صدقوا، فهم لا يصدقون أبداً، ولكن لو صدق أنهم قالوا شيء فحصل، فهم كاذبون لأن ما حصل قد حصل مصادفةً، الذي يحصل دائماً في الأبراج وفي التنبؤات أنه يُعطيك منة معلومة فيصيب في معلومة منها أو في عشر معلومات عشرة منها صحيح، سبب هذا الصواب ليس صدقهم لكن المصادفة، لأنه يقول لك سيموت إنسان مُهم، هو في كل عام يموت إنسان مُهم، فيموت فيقول لك قلت لكم، يقول لك ستحصل حرب كبيرة، منذ عشرين سنة وكل سنة حروب كبيرة مثلاً، أو يُخبرك بشيء هو يعلم من مصادر معيّنة أنه سيحصل، فهو لا يعلم الغيب لكن عنده معلومات، له علاقات في دوائر القرار، فيقولوا له أنه سنفعل كذا هذا العام، سنخفف الفائدة أو كذا فيأتي بالمعلومة فيلقبها على أنه يتنبأ بها، وهي في الحقيقة معلومة عنده فتقع، هذا ما يقع من كلامهم حتى لا يُفتن الناس بهم، يقع بهذه الطريقة، إما مصادفةً لأنهم يُلقون كلاماً عاماً لا بدّ أن يحصل شيء منه، مثل حتى الأبراج، كأن يقول لك قائل أنت العذراء شخصية محبوبة جداً، فعلاً أنا يحنوني، أنا العذراء الناس كلها تُحبنى، من ين الناس يقول أن الناس يكرهونني؟ هناك خبر سيء ستسمعه هذا الشهر، نعم أنا سمعت خبر سيء فعلاً، هو كل شهر الإنسان يسمع خبر سيء وخير مفرح، هي الحياة هكذا ميناها أنّ الأيام فيها دائماً أخبار سيئة وأخبار مُفرحة، كل يوم يأتيه خبر يسره وخير يزعه هذه حقيقة الدنيا الابتلاء، أنت شخصٌ تُحسين إلى الناس والناس تُسيء لك مظلومية، يقول لك فعلاً أنا قلمي طيب دائماً أحسن والناس يُسيئون لي، لا يقولوا لأحد أنت شخصٌ تُسيء للناس رغم أنهم يُحسون إليك، لأنه سيرفض فوراً هذه المعلومة، لأنه أصحاب برج الجوزاء دائماً يُسيئون إلى الناس، رغم أن الناس يُحسين إليهم، يقول لك أنت كاذب أنا أسيء إلى الناس؟! فهم يلعبوا على هذه المسألة فيوهمون الناس على أنهم يعلموا الغيب، وفي الحقيقة لا يعلموا شيئاً من الغيب أبداً، إما معلومات أو مصادفات، كذب المنجّمون ولو صدقوا، والأكثر من ذلك أن بعض هؤلاء أكابر مجرميها في التتجيم يتعاملوا مع دوائر القرار بشكلٍ كبير جداً، بحيث يكون كلامهم لشيء يريدوا فعله، يعني هذه مسألة أخرى أنّ البعض يستخدم هؤلاء لتحقيق بعض مشروعاتهم، انشر هذه الشائعة، قُل سيحدث كذا للناس، أيضاً على الهامش تحصل أحياناً ولها شواهد، (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ)

فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ونحن لا تعلم الغيب، ما سيكون بعد دقيقة لا نعلمه أبداً، ربّما نعلم الغيب المكانيّ أنا الآن موجود هنا في إربد، الشخص الذي في إربد يستطيع أن يخبرني بشيء راه بعينه الآن، هذا غيب بالنسبة لي لكنه شهود بالنسبة له، هذا ليس غيباً مادام شهود لأحد ليس غيباً، الذي يقول لك كتلة هوائية باردة تتجه نحو المملكة، هذا غيب بالنسبة لك لكن بالنسبة للراصد الجوي ليس غيباً لأنه مُشاهد له، الطبيعة التي تضع الجهاز على بطن أو رحم المرأة الحامل وتقول لك هو ذكر، هو لم يعد غيباً لأن الجهاز كشفه فقط، يعني هي رآته لم يعد غيباً، أما في اللحظة الأولى لا تعرفه لأنه ما يزال غيباً عليها وعليك، أما كل ما تطور العلم ربّما يُقدّم المرحلة التي تعرف الذكر من الأنثى هذا لم يعد غيباً أصبح شهادة، أما الغيب يعني غاب نهائياً عنك لا يراه أحد لا أنت ولا غيرك، فلا أحد يعلمه إلا الله، (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ).

النبى صلى الله عليه وسلم بشر وهو سيد البشر:

لستُ ملكاً حتى آتيكم بما تطلبوا لأنهم قبل آيات في سورة الأنعام طلبوا أن يكون ملكاً، فقال لهم رب العزة جلّ جلاله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ جَعَلْنَا مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَشَّئْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلَبِّسُونَ (9)

(سورة الأنعام)

لا يستقيم أن يكون الرسول ملكاً لأنه لا يصح الإقتداء به عندها، لا تتحقق الأسوة به لأن الملك من غير طينة البشر، فلا يمكن أن تأمر شخصاً من طينته من أن يقتدي بشخص من طينته أخرى، حتى بالمرآجل العمرية، أنت الآن قُل لابنك أريدك أن تقتدي بفلان من الناس عمره سبعون سنة وابنك عمره عشر سنوات، كيف اقتدي به؟! أعطني قدوة أستطيعها يعني من عمري، فعموماً القدوة تحتاج أن تكون من جنس من تدعوه إليها، طبعاً النبي صلى الله عليه وسلم قدوة للجميع بأخلاقه، بصفاته، لأنه بشر وتجرى عليه كل خصائص البشر فكان سيد البشر (إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ)، هذا منتهى العبودية يعني ما أتبع إلا وحيّ الله تعالى، انتظر الوحي، لا أعلم الغيب ولستُ ملكاً، أتبع منهج الله.

التفكر والتذكر والتدبر عمليات تتم في عقل القلب:



العقل هو الربط

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) الأعمى لا يرى، البصير يرى، هل يمكن أن يستوي هذا مع هذا في عالم البشر؟ في عالم الله عز وجل قد يكون الأعمى خيراً من البصير، إذا كان عماه في عيناه لكن قلبه مُبصر، لكن نتحدث في دنيا البشر ممكن أن يستوي من يرى مع من لا يرى؟ لكن العقل هو الربط، تعقلون تكلمنا عليها المرة الماضية، تربطوا الأشياء ببعضها، إغفلها وتوكل للناقة يعني اربطها، فيربط هذه بهذه فيعقل، ويعقلون يعني يمنعون أنفسهم عن الشهوات، يمنع نفسه العقل يمنع وسقاه الله تعالى الحجر لأنه يحجر صاحبه، النهي لأنه ينهي صاحبه عن المعاصي، التفكير هو عملية من خلالها تنتقل من شيء إلى شيء ابتداءً، تنظر إلى السماء وخلقها تقول لها خالق، هذا أنت تتفكر الآن، ابتداءً تربط شيء بشيء، العقل ربطت شيء بشيء، التفكير انتقلت من شيء إلى شيء، تفكرت به ففادك إلى شيء آخر، التذكر شيء موجود وصلت إليه لكنه غاب عنك تتذكره.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (37)

(سورة ق)

الإنسان عنده معلومات نسيها، يأتي رمضان يتذكرها، علاقته بالله في رمضان يتذكرها هذا التذكر، التدبُّر النظر في العواقب، في الأدبار، في النهايات، فالتدبُّر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا (24)

(سورة محمد)

يعني ينظروا في المآلات، مآلات العاصي، مآلات المحسن، فكل كلمة لها معنى، لكن تشترك كلها في أنها عمليات في القلب تتم في العقل، في عقل القلب، يعقلها الإنسان يتفكر، يتذكر، يتدبُّر.

شرط الانتفاع بالقرآن الكريم هو الخوف والخشية من الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وِلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ بَيْنَهُمْ (51)

(سورة الأنعام)

وأنذر به الهاء تعود على القرآن الكريم، يعني وأنذر بالقرآن الذين يخافوا أن يُحشروا إلى ربهم، كثيراً في القرآن الكريم يُبين جَلَّ جلاله أنَّ شرط الانتفاع بالقرآن الكريم هو الخوف والخشية من الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه (1) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (2) إِلَّا تَذَكَّرَ لَمَنْ يَحْسَى (3)

(سورة طه)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي نُحُسَّتِهَا هُدَىٰ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ (154)

(سورة الأعراف)

الرهب شدّة الخوف، (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) وآيات كثيرة تتحدث أن شرط الانتفاع بالقرآن هو الخوف من الله تعالى، لأنّ الذي يخاف يتجه إلى الشيء الذي يُنجّيه وما يُنجّيك في كتاب الله تعالى، الذي لا يخاف لا يتجه للإصلاح الخوف باعث شديد جداً، الذي يقول لموقف بين يدي الله إذا افتح منهج الله لتفعل ما فيه وتنتهي عن ما نهاك عنه، (وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) الولي الذي يجلب لك الخير، والشفيع الذي يشفع لك من أجل دفع الضرر، (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) أي لعلمهم يخافون ربهم، لعلمهم بطبعونه فلا يعصونه، يذكرونه فلا ينسونه، وأنذر به أي بالقرآن الكريم.

الله جلّ جلاله أوصى نبيه بالضعفاء والفقراء:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)

(سورة الأنعام)



النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يهدي الآخرين

لا تطردهم أي لا تبعدهم عن مجلسك تمنعهم من المجلس، النبي صلى الله عليه وسلم لا يطرد من جاءه، لكن ما الذي حصل؟ الذي حصل أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وقيل أنها نزلت في خباب بن الأرت وسلمان الفارسي، هؤلاء الذين جاؤوا مسافرين و مهاجرين إلى الله ورسوله، المهاجرين الذين جاؤوا من أصحاب الصفة الذين يجلسون في المساجد، وما عندهم ما يأكلون، الضعفاء، الفقراء، العبيد، الفارسي، الرومي، الحبشي، ممن تركوا أهلهم وعيالهم، فهؤلاء يجلسون مع الرسول صلى الله عليه وسلم يحبون مجالسته طويلاً لا يملّون من المجلس، أنت اليوم إذا مع عالم رباني ووجه منور، تجلس معه وتقول والله لا أريد أن أتركه أشعر بالسعادة، فكيف إذا كان الجلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فهم جلسوا وأطالوا الجلوس وسرّوا بذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يهدي الآخرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ تُفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (6)

(سورة الكهف)

بكاؤُ يَهْلِكُ نَفْسِهِ، يريد أن يَهْدِيَّ النَّاسَ جميعاً، هؤلاء لا يريدوا أن يجلسوا مع الفقراء، يريدوا مجالس خاصة، تأتي إليك نستمتع إليك، لكن نريد مجالس لوحدها، لا نجالس الذين كانوا بالأمس عبيداً عندنا سوَّيْتَهُمْ بنا في المجلس، يعني النبي صلى الله عليه وسلم اجتهد أنه إن جالس هؤلاء هداؤهم إلى الدين فأعزَّ الإسلام بهم، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم أعز الإسلام بأحب الغمرين إليك، وكان أحب الغمرين إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكان يريد أن يهديَّ الناس، فقالوا اجعل لنا مجلساً خاصاً تأتي إليك، فكان النبي يفعل، وفي بعض الروايات أنهم أتوه بصحيفة ليكتبها لهم لمجلسهم لعلمهم يَهْدُونَ، فاجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في هداية هؤلاء، فالله تعالى عاتبه، عاتبه في ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى (1)

(سورة عبس)

خاصة بابن أم مكتوم، والثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدَاةِ وَالْعَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا □ وَلَا تُطِعْ مَنْ
أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَنْتَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (28)

(سورة الكهف)

في سورة الكهف، والثالثة هُنا في سورة الأنعام (وَلَا تَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْعَدَاةِ وَالْعَيْبِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)، أنت يمكن أن تتجه لهداية الآخرين والناس الذين لهم مكانة وإن تُعطيهم مكانتهم ولكن ليس على حساب هؤلاء الفقراء والمستضعفين، أبدأ، هذا منهج لنا جميعاً، فقال فكُنَّا نجلس يقول هؤلاء ضعفاء الصحابة فكُنَّا نجلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسنا حتى يضع ركبته إلى ركبنا، فما عاد ينصرف عنَّا حتى نكون نحن الذين ننصرف، صار النبي صلى الله عليه وسلم يلتزم بهم، ربه أوصاه بهم الله تعالى، أنت إذا والدك أوصاك بأحد تقول له نعم، الله أوصاه هؤلاء الفقراء قال: فجعل يلتزمهم لا يقوم، فقال: حتى جعلنا ننصرف إشفافاً عليه، هو ما يقوم أبداً إذا مع الضعفاء والفقراء صلى الله عليه وسلم، هذا درس لنا جميعاً في رعاية الفقير والمريض، أحياناً أنت تكون بمكانتك ببعض المال الذي أعطاك الله إياه، أو ببعض الجاه أو ببعض المنصب، يعني تنصِّف عن الناس، الناس لها ظروفها كل واحد له ظروفه له حاجاته، فينبغي أن تنصِّف المُستضعفين، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ ابغوني الضُّعفاء، فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَ تُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ }

(الألباني إسناده صحيح)

هذا الضعيف تنصر ونرزق به، إن أعطيته أعطاك الله، إن أنصفته أنصفك الله من ظالميك وهكذا

الله تعالى ليس كمثلته شيء:

اللَّهُ

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ

(وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَشِيِّ وَالْعَشِيِّ) أي في كل وقت صباحاً ومساءً، من الصباح إلى المساء، يعني حالهم مع الله جالٍ مستمر فلا تطردهم، (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) يعني ليس لهم من فعلهم هذا إلا ابتغاء وجه الله تعالى، حسناً هل الله تعالى له وجه يريدون وجهه؟ طبعاً نفس الكلام الذي قلناه سابقاً نحن لا نعرف الذات فلا ينبغي أن نسأل عن الكيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (11)

(سورة الشورى)

جلّ جلاله وما أُنبت له لنفسه نُبتته له من غير تعطيلٍ ولا تمثيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تجسيدٍ، ولا تشبيهٍ بأحد من خلقه، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) واثركوا كل الخلافات في هذه المسألة لأنه لا طائل وراءها، المقصود يريدون وجهه هنا، أي أنهم ينتغون بعملهم الله تعالى لا يريدون شيئاً آخر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)

(سورة الإنسان)

أما ماهية الوجه فلا تسأل عنها أصلاً، لأنك لا تعرف الذات فكيف لك أن تعرف الكيف؟

(مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ) أنت لن تُحاسب عنهم وهم لن يُحاسبوا عنك، (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ) يعني هذه الآية أو هذا الجزء من الآية يؤكد أن الإنسان سيأتي ربه فرداً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكُلَّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (95)

(سورة مريم)

ليس معك أحد ينوب عنك ولا تنوب عن أحد، قال: (فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ) إذا طردهم عن مجلسك، هو ليس طرداً بمعنى الطرد، يعني أنهم دخلوا فقال لهم أخرجوا! لا ما حصل ذلك وحاشاه صلى الله عليه وسلم، لكن لمجرد أن يقول لهم هذا اليوم ليس لكم، هذا اليوم لهؤلاء أريد أن أجلس معهم جلسة مطولة، لعل الله أن يهديهم، لمجرد أن تضع يوماً لهؤلاء وتترك الذين ناصرُوا الدعوة من يومها الأول وكانوا معك وإلى آخره، مُجَرَّد أن تفعل ذلك فهذا ظلم، فتكون من الظالمين والحمد لله رب العالمين.